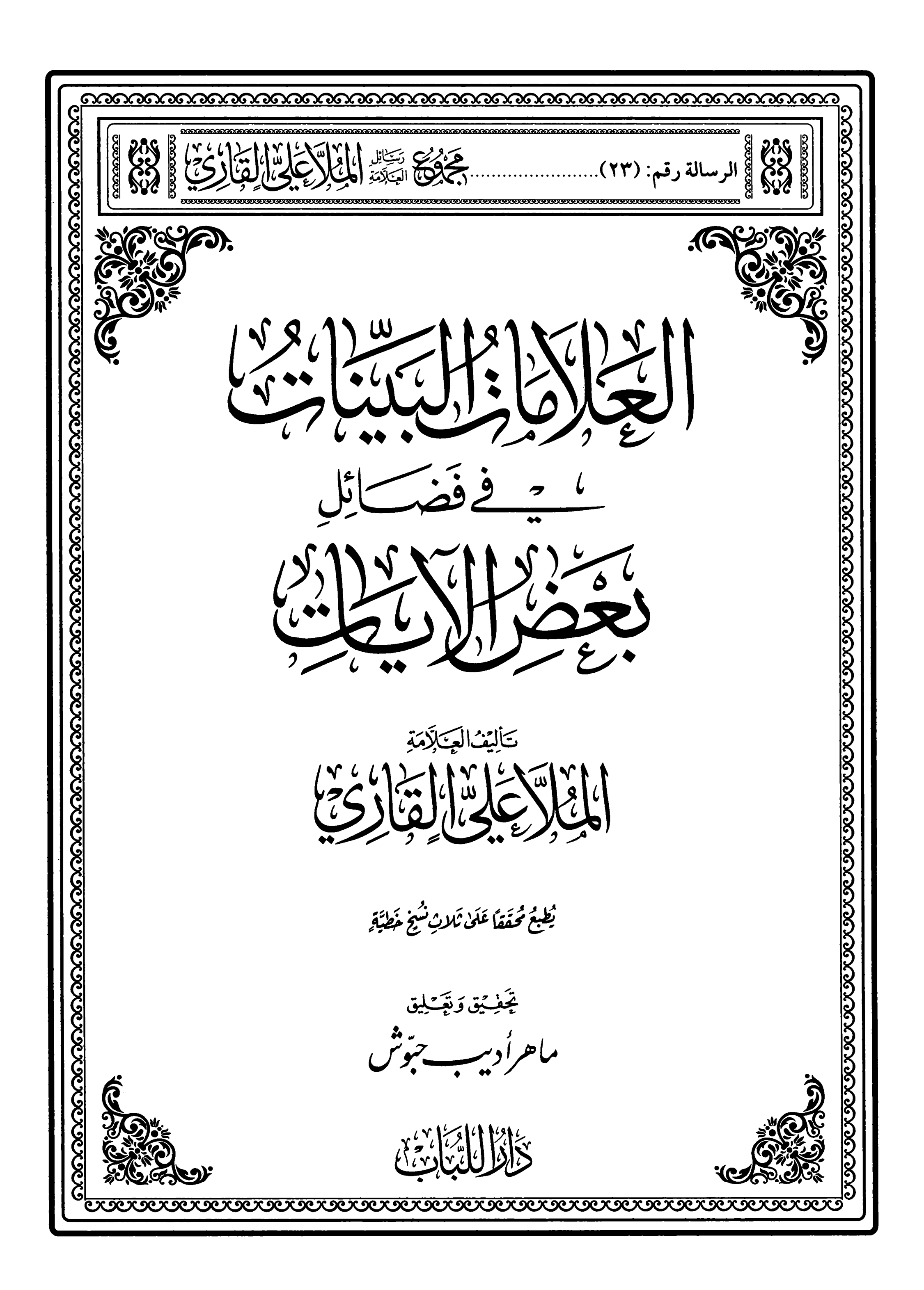


العلامات البينات في فضائل بعض الآيات

تأليف العلامة

الملا علي القاري

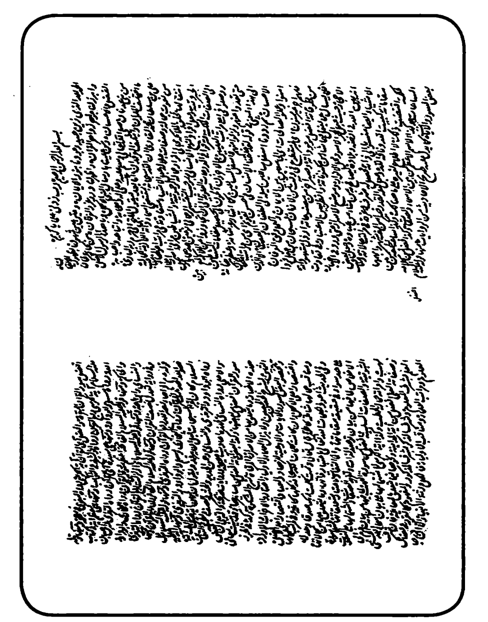
يطبع محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

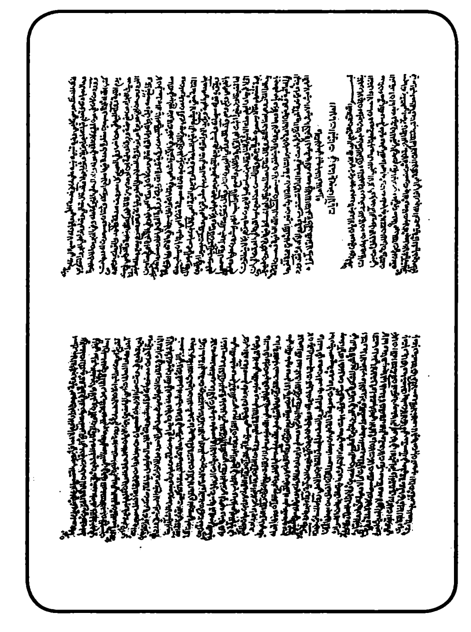
ماهر أديب حبوش

دار اللباب

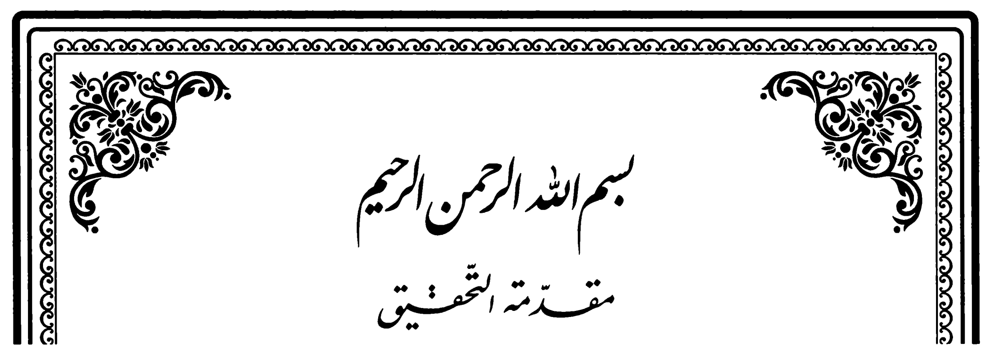
مكتبة أسعد أفندي (ع)



مكتبة فاضل أحمد (أ)



مكتبة فيض الله (ف)



الحمدُ للهِ الذي أَسْعَدَ النُّفوسَ بأحكامِ الدِّينِ الحَمِيد، ونَوَّرَ القلوبَ بأنوارِ كتابِه المَجِيد، والصَّلاةُ والسَّلامُ على الـمُرْسَلِ بالبيِّناتِ والحُجَج، والمؤيَّدِ بكتابٍ غيرِ ذي عِوَج، ليُخْرِجَ النَّاسَ مِن ظُلُماتِ الجهلِ إلى أنوارِ التوحيد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

وبعد:

فإنَّ كتابَ اللهِ الكريمَ هو المعجزةُ العُظْمَى إلى يومِ الدِّين، كما أنَّه المنهَجُ الربَّانيُّ للخَلْقِ أجمعِين، وهو الحقُّ الذي لا يأتيهِ الباطِلُ مِن بينِ يديهِ ولا مِن خَلْفِه تنزيلٌ مِن حكيمٍ حَميد.

والسُّنَّةُ النَّبويَّةُ الشَّريفةُ قد جَعَلَها اللهُ تفسيراً لهذا الكتاب، وتَفصيلاً لمجملِه، وبياناً لِـمَا فيه مِن الخاصِّ والعامِّ، والنَّاسخِ والمنسوخِ، والـمُطْلَقِ والمقيَّدِ، وغيرِ ذلك مِن الأحكام.

وإلى جانبِ هذا فقد جاءَتِ السُّنَّةُ النَّبويَّةُ لتُبيِّنَ بعضَ الخصائصِ المتعلِّقةِ بهذا الكتاب، ومِن ذلك التَّنبيهُ على ما فيه مِن تفاضُلٍ بينَ الآياتِ والسُّوَر، مع أنَّ الكلَّ مِن كلامِ الله سبحانه المعجز، وذلك لحِكَمٍ لا يَعْلَمُها إلَّا هو سبحانه، وإنْ كانَ للبشرِ بعضُ البحثِ في التَّعليلات، التي قد تُخْطِئُ وقد تُصِيبُ، وقد تُبيِّنُ جانباً مِن التَّعليل، الذي لا يَعْلمُه بتمامِه إلَّا الخالقُ الجَليل.

فمِن ذلك مَثَلاً: تعليلُ الإمامِ الرَّازيِّ كونَ (سورة الكافرون) تَعْدِلُ رُبعَ القُرآن، بأنَّ القرآنَ مشتمِلٌ على الأمرِ بالمأموراتِ والنَّهْي عن الـمُحرَّمات، وكلٌّ مِنهُما إمَّا أنْ يتعلَّق بالقلبِ أو الجَوارِح، فيكونُ أربعةَ أقسام، وهذه السُّورةُ مشتمِلةٌ على النَّهْي عن الـمُحرَّماتِ المتعلِّقةِ بالقلب، فتكونُ كرُبعِ القرآن.

وقيلَ في ذلك: إنَّ مقاصِدَ القرآن: صفاتُه تعالى، والنُّبوَّاتُ، والأحكامُ، والمواعِظُ، وهي مشتمِلةٌ على أساسِ الأوَّلِ وهو التَّوحيدُ، ولذا عَدَلَتْ رُبُعَه.

وقال آخَرُ: إنَّ الدِّين الذي تَضمَّنه القرآنُ أربعةُ أنواعٍ: عباداتٌ، ومُعاملاتٌ، وجِناياتٌ، ومُناكَحاتٌ، والسُّورةُ مُتضمِّنةٌ للنَّوعِ الأوَّلِ، فكانَتْ رُبعاً.

ولكلٍّ مِن هذه الأقوالِ توجيهاتٌ وإيراداتٌ ليس هذا مَجالُ ذِكْرِها، أوردَها الآلوسيُّ رحمهُ اللهُ في «تفسيره»[1]، وإنَّما سُقْنا ما سُقْناه لبيانِ مُناقشةِ العُلماءِ وبحثِهم في حِكَمِ ما وَرَدَ مِن تفضيلٍ لبعضِ آياتِ وسورِ الكتابِ الكريم.

والعلامة القاري رحمهُ اللهُ بما آتاهُ سبحانَهُ مِن العلمِ الواسِعِ، والاطِّلاعِ العَظيمِ على السُّنَّةِ النَّبويَّة، قد جَمَعَ في هذه الرِّسالةِ اللَّطيفةِ التي سمَّاها:

«العلاماتُ البيِّناتُ في فضائلِ بعضِ الآيات»

ما وردَ في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ الشَّريفةِ مِن نصوصٍ تتعلَّقُ بهذا الموضوعِ، مزيَّنةٍ ببعضِ التَّعليلاتِ مِن نحوِ ما أسلَفْناهُ، كقوله: فمَثَلاً سورةُ الإخلاصِ لِـمَا فيها من بيانِ توحيدِ الذَّاتِ، وتفريدِ الصِّفاتِ، واشتِمالِها على النُّعوتِ الثُّبوتيَّةِ والصِّفاتِ السَّلبيَّةِ، أفضَلُ من سُورةِ اللَّهَبِ؛ لِـمَا فيها من بيانِ ذَمِّ أبي لهَبٍ وامرأتِه حمَّالةِ الحَطَبِ.

لكنَّه لَمْ يتوسَّعْ في هذا، بل أحالَ تفصيلَ ذلك إلى بعضِ كُتبِه، حيث

(١) انظر: «روح المعاني» (٢٩/ ٣٧٦) طبعة الرسالة.

قـال: وقـد بيَّنْتُ معانيَ هـذه الأخبارِ ومـا يتعَلَّقُ بها من الأسـرارِ في «الِمرقَاةِ شَـرحِ المِشـكاةِ»، وكـذا في «الحِـرْزِ الثَّمينِ لشـرحِ الحِصْـنِ الحَصينِ».

ثُمَّ إنَّه لم يَقْتصِرْ على ذلك، بل تطرَّقَ إلى موضوعٍ يتعلَّقُ به لعلَّه رأى التَّنبيهَ عليه ضروريًّا، وهو ذِكْرُ بعضِ العلماءِ ممَّن استنارَ قلبُه وعقلُه بهذا القرآنِ فجَمَعَ مِن جواهرِه ما فيه الخيرُ العَميم، والبعضِ الآخَرِ ممَّن أضلَّه اللهُ على عِلْمٍ.

فذَكَـر مِـن الأوَّلِ الإمـامَ الغزاليَّ، حيث قـال: وممَّن غاصَ في بحـرِ المُحيطِ القُرآنـيِّ، وأبـرَزَ منه الجواهِـرَ والدُّرَرَ المنسـوبةَ إلى الـكلامِ الفُرقانِيِّ، الإمـامُ حُجَّةُ الإسـلام، وبُرهـانُ الإعـلام، أبـو حَامِـدٍ الغزاليُّ، حيـثُ جمَـعَ اليواقيـتَ واللآلي، ليُواظِـبَ عليها المُريدُ لِـمقامِ المَزيـدِ في الأيَّـامِ واللَّيالي...

ومِن الثاني كما قال: ابنُ عَرَبيّ وأتباعُه الغبيّ، من شُرَّاحِ كلامِه في كُفرَيَّاتِ مَرامِه، التي من جُملَتِها اعتقادُ أنَّه سُبحانَه أوجَدَ الأشياءَ وهو عَيْنُها...

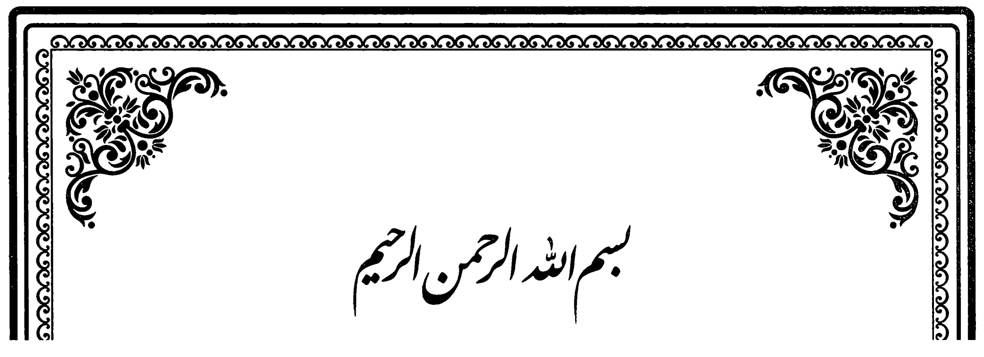
وبعـد، فهذه الرِّسـالةُ الصَّغيـرةَ في مَبْناها، الواسِـعةَ في مُحْتواهـا، اللَّطيفةُ في مَعْناهـا، هـي من دُرر مـا كتبهُ العلامةُ القـاري رحمه الله.

وقـد اعْتَمَدْنـا فـي تحقيـق هـذه الرِّسـالة علـى ثـلاثِ نسـخٍ خطِّيَّـةٍ نفيسـةٍ، الأُولى: نُسـخةُ فيضِ الله، وهي نسـخةٌ جيدةٌ جـدًّا؛ لكونها منقولةً مِـن خطِّ المؤلِّفِ كمـا ذُكِـرَ في آخِرِها، ورَمْزُها: «ف»، ونسـخةُ أَسـعد أَفَنْدي، ورمزُها: «ع»، ونُسـخةُ فاضـل أحمـد ورَمْزُها: «أ».

هذا، ولا بد من التنبيه أنَّ عنوان هذه الرسالةِ قد كُتب خطأً في النسخة الخطية لمكتبة أسعد أفندي، حيث جاء في أولها أنها رسالة: «المرتبة الشهودية في المنزلة الوجودية»، وكأن الناسخَ نظر إلى آخر هذه الرسالة حيث ورد ذكرُها، فظنها أنها عنوان الرسالة.

والحمدُ لله ربِّ العالمين

المحقق



الحمـدُ للهِ الـذي زَيَّنَ جيِّـدَ وُجودِنا بنورِ الإيمـان، وعيَّنَ عَيْنَ شُـهودِنا بظُهورِ الإيقـان، وأبـرَزَ لنـا جَواهِـرَ زَواهِرِ القُـرآن، وأظهَرَ لنـا دُرَرَ غُـرَرِ الفُرقـان، من بحارِ عِرفـانِ الفَضْـلِ والإحسـان، ومَـنَّ علينا بإرسـالِ النَّبـيِّ الأكمَـل، وبإهداءِ الرَّسـولِ الأفضَـل، مِـن بنـي عدنـان، صلَّـى اللهُ وسـلَّم عليـه وعلـى آلِـه وأصحابِـه وأتباعِـه وأحبابِـه ما اختلَـفَ المَلَـوَانِ وائتَلَـفَ الفَرْقَدانِ.

أمَّا بعدُ:

فيقـولُ المُلتَجِئُ إلى حَرَمِ ربِّه البارِيْ، عليُّ بنُ سُـلطانِ محمَّـدٍ القارِيْ: إنَّ اللهَ سُـبحانَه بمُقتَضَـى أسـماءِ ذاتِه اللَّازِمَـةِ لكَمالِه، من نُعـوتِ جَمالِه وصِفـاتِ جَلالِه، جَعَـلَ الأشـياءَ مُتفاوِتَـةً فـي مراتـبِ أحوالِهـا، ومَناقِـبِ انتِقالِهـا، فخَلَـقَ الملائكـةَ مجالـيَ أنوارِ جمالِـه الرَّحَموتيَّةِ، والشَّـياطينَ مَرائِيَ أسـرارِ جَلالِـه الجَبَروتيَّةِ.

وجَعَلَ أفرادَ النَّوعِ الإنسانيِّ بـمَوجِبِ التَّقسيمِ الرَّحمانيِّ نوعَين:

أحدَهما: مائِلونَ إلى الصِّفاتِ المَلَكيَّةِ، فترَقَّوا في الدَّرَجاتِ العُلويَّةِ، إلى أن تَجاوَزوا عن الملائِكةِ المُقرَّبين، ووَصَلُوا في أعلى مراتبِ العِلِّيِّين.

والآخَـرون: آيِلونَ إلى تحصيلِ مَقاماتِ الشَّـياطينِ، حتَّى تَعَـدَّوا عنهم، ونَزَلوا منهـم فـي أسـفلِ السَّـافِلين، كما أشـارَ عزَّ شـأنُه وعَظُـمَ بُرهانُـه إلى هـذا المعنى في قولِـه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؛ أي: مـن مَراتبِ إمكانِ الإحسـانِ، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ

﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ بمَيلِه إلى الطُّغيانِ والعِصيانِ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: الجامعين بينَ الإيمانِ والعَمَلِ وَفْقَ العِرفانِ، ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤-٦]؛ أي: غيرُ مَقطوعٍ في وقتٍ من الأزمانِ.

فسُبحانَ مَن جَعَلَ فَرْداً من مخلوقاتِه أفضَلَ مَوجوداتِه، وصيَّرَ آخرَ من مَصنوعاتِه أرذَلَ مَشهوداتِه، فلا يُسأَلُ عمَّا يفعلُ فيما شاءَ من مَكنوناتِه.

وانظُرْ بعينِ الاعتِبارِ في تفاوُتِ الأحجارِ، حيثُ جَعَلَ الحَجَرَ الأسودَ محلَّ الأنوارِ ومَوضِعَ الأسرارِ، حتَّى وَرَدَ في الأخبارِ: أنَّه يمينُ اللهِ في أرضِه وبلادِه، يُصافِحُ به مَن شاءَ من عبادِه[1].

وجَعلَ بعضَ الأشياءِ أيضاً مَنسوباً إلى ذاتِه، فحَصَلَ له شَرَفٌ وعِزَّةٌ في مَراتبِ حالاتِه، ومَناقبِ مَقاماتِه؛ كَبيتِ اللهِ، وناقةِ اللهِ.

وجعلَ ليلةَ القَدْرِ خَيراً من ألفِ شهرٍ، وأبهَمَها لحِكمَةٍ اقتضت ذلك، لا اطِّلاعَ لغَيرِه على ما هُنالك، وكذا ساعةُ الجُمُعةِ من بينِ السَّاعاتِ، وكذا الاسمُ الأعظَمُ من بينِ الأسماءِ والصِّفاتِ.

وكذا فَضَّلَ من كلامِه بعضَ السُّوَرِ والآياتِ، كما يدلُّ عليه صريحُ الأحاديثِ من الرِّواياتِ.

---

(١) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٢٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ٢١٧)، وابن الجوزي في «العلل» (٩٤٤)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِي الله عَنهما، وقال ابن الجوزي: «لا يصح». ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٧٣٧)، وابن الجوزي في «العلل» (٩٤٥)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِي الله عَنهما، وقال ابن الجوزي: «لا يثبت». ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٨٩١٩)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣٢٣ و٣٢٤ و٣٢٦)، من قول ابن عباس رَضِي الله عَنهما.

منها: قولُه ﷺ: «أفضَلُ سُوَرِ القُرآنِ البقرةُ، وأفضَلُ آيِ القُرآنِ آيةُ الكُرسِيِّ». رَواه البَغَوِيُّ في «مُعجَمِه»(١).

ومنها: قولُه ﷺ: «آيةُ الكُرسِيِّ رُبُعُ القُرآنِ». رَواه أبو الشَّيخِ في «الثَّواب»(٢).

ومنها: «هي أعظَمُ آيةٍ في كتابِ اللهِ». رَواه مُسلمٌ وأبو داودَ(٣).

ومنها: «هي سيِّدَةُ آيِ القُرآنِ». رَواه التِّرمِذيُّ وابنُ حِبَّانَ والحاكِمُ(٤).

---

(١) ورواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٧٣٢ زوائد الهيثمي)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٧١) و(١٧٤)، من طريق الحسن عن النبي ﷺ بإسناد صحيح كما قال السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥١)، لكنه مرسل، ورواه الفريابي في «فضائل القرآن» (٧٤) عن ربيعة الجرشي عن النبي ﷺ، وهو مرسل أيضاً.

(٢) رواه من طريق أبي الشيخ: الذهبيُّ في «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٢٨٠)، من طريق سلمة بن وردان عن أنس رَضِي الله عَنه مرفوعاً، وسلمة بن وردان ضعيف كما في «التقريب». لكن رواه بهذا الإسناد مطولاً: الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢١)، والترمذي (٢٨٩٥) وقال: حديث حسن. ولفظ أحمد: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سألَ رَجُلاً من صحابته فقال: «أيْ فُلاَنُ! هل تَزَوَّجْتَ؟» قال: لا، وليس عندي ما أَتَزَوَّجُ به، قال: «أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؟» قال: بَلَى، قال: «رُبُعُ القُرْآنِ» قال: «أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾؟» قال: بَلَى، قال: «رُبُعُ القُرْآنِ» قال: «أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؟» قال: بَلَى، قال: «رُبُعُ القُرْآنِ» قال: «أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾؟» قال: بَلَى، قال: «رُبُعُ القُرْآنِ» قال: «أَلَيْسَ مَعَكَ آيَةُ الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؟» قال: بَلَى، قال: «رُبُعُ القُرْآنِ» قال: «تَزَوَّجْ تَزَوَّجْ تَزَوَّجْ» ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. ولم ترد القطعة التي فيها آية الكرسي عند الترمذي، ووقع في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عنده: «ثلث القرآن»، وهو الصحيح الموافق لأحاديث الصحيحين كما سيأتي.

(٣) رواه مسلم (٨١٠)، وأبو داود (١٤٦٠)، من حديث أبي بن كعب رَضِي الله عَنه.

(٤) رواه الترمذي (٢٨٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٢٦)، من حديث أبي هريرة رَضِي الله عَنه. قال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرِفُهُ إلا مِن حديثِ حَكِيمِ بنِ جُبَيْرٍ، وقد تَكَلَّمَ شُعْبَةُ في حَكِيمِ بنِ جُبَيْرٍ وضَعَّفَهُ.

ومنها: قولُه ﷺ: «الفاتحةُ أعظَمُ سورةٍ من القُرآنِ». رَواه البُخارِيُّ وأبو داودَ والنَّسائِيُّ وابنُ ماجه(١).

ومنها: قولُه ﷺ: «إذا زُلْزِلَت رُبُعُ القُرآنِ». رَواه التِّرمذِيُّ(٢).

وفي رِوايةٍ: «تَعدِلُ نِصفَ القُرآنِ»(٣).

ومنها: قولُه ﷺ: «الكافِرونَ رُبُعُ القُرآنِ»(٤).

ومنها: قولُه ﷺ: «﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ﴾ رُبُعُ القرآنِ». رَواه التِّرمذيُّ(٥).

ومنها: قولُه ﷺ: «﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُلُثُ القُرآنِ». رَواه البُخارِيُّ ومُسلِمٌ وأبو داودَ والتِّرمذِيُّ(٦).

ومنها: أنَّه ﷺ كانَ يقرأُ المُسبِّحاتِ قبلَ أن يَرقُدَ، ويقولُ: «إنَّ فيهِنَّ آيةً خيرٌ من ألفِ آيةٍ». رَواه أبو داودَ والتِّرمذِيُّ والنَّسائِيُّ(٧).

---

(١) رواه البخاري (٤٤٧٤)، وأبو داود (١٤٥٨)، والنسائي (٩١٣)، وابن ماجه (٣٧٨٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٩٥) من طريق سلمة بن وردان عن أنس، وقد تقدم لفظه والكلام عليه.

(٣) رواه الترمذي (٢٨٩٤) من حديث ابن عباس رَضِي الله عَنهما، وقال: «غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة»، ويمان ضعيف كما في «التقريب». ورواه الترمذي أيضاً (٢٨٩٣)، والبيهقي في «الشعب» (٢٥١١) من حديث أنس رَضِي الله عَنه، وفي إسناده الحسن بن سلم بن صالح العجلي، قال البيهقي: مجهول.

(٤) رواه الترمذي (٢٨٩٥) من حديث أنس، وقد تقدم. ورواه الطبراني في «الأوسط» (١٨٦) من حديث ابن عمر رَضِي الله عَنهما. وفي «الصغير» (١٦٥) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِي الله عَنه.

(٥) رواه الترمذي (٢٨٩٥) من حديث أنس، وقد تقدم.

(٦) رواه البخاري (٥٠١٣)، وأبو داود (١٤٦١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِي الله عَنه. ورواه مسلم (٨١٢)، والترمذي (٢٨٩٩)، من حديث أبي هريرة رَضِي الله عَنه. ورواه مسلم (٨١١) من حديث أبي الدرداء رَضِي الله عَنه.

(٧) رواه أبو داود (٥٠٥٧)، والترمذي (٢٩٢١)، والنسائي في «الكبرى» (٧٩٧٢)، من حديث العرباض ابن سارية رَضِي الله عَنه. قال الترمذي: حديث حسن غريب.

وهُنَّ: الحديدُ والحَشرُ والصَّفُّ والجُمُعةُ والتَّغابُنُ والأَعلى. رَواه النَّسائِيُّ(١).

فهذه أحاديثُ صحيحةٌ وروِاياتٌ صَريحةٌ دالَّةٌ على أنَّ بعضَ سُوَرِ القُرآنِ أفضَلُ من بعضِها، وكذا بعضُ آياتِه أفضَلُ من سائرِها.

وقد بيَّنْتُ معانيَ هذه الأخبارِ وما يتعَلَّقُ بها من الأسرارِ في «المِرقَاةِ شَرحِ المِشكاةِ»، وكذا في «الحِرْزِ الثَّمينِ لشرحِ الحِصْنِ الحَصينِ».

ولا يزالُ العُلماءُ والأولياءُ اختارُوا الأحزابَ والأوراد، وتلَخَّصُوا بعضَ السُّوَرِ والآياتِ والأدعيةِ للزُّهَّادِ والعُبَّاد؛ اقتِصاراً على الأفضَل، واختِصاراً على الأكمَل، وإنْ كانت كلماتُ اللهِ سُبحانَه كلُّها كاملةً، وفي مَراتبِ كمالِها ومَناقِبِ جمالِها شامِلَةً كافِلَةً، قالَ تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وفي الحديثِ: «أعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّةِ»(٢)، لكنْ قد يكونُ بعضُها أتمَّ لكَونِها في التَّأثيرِ أعمَّ.

والتَّحقيقُ: أنَّ كلماتِ اللهِ تعالى باعتبارِ ذاتِها وما يتعلَّق بها من كَمالاتِها على حدٍّ سواءٍ في حقيقةِ مَقاماتِها، وإنَّما التَّفاوُتُ باعتبارِ مُتعلِّقاتِها، فمَثَلاً: (سورةُ الإخلاصِ) لِـمَا فيها من بيانِ توحيدِ الذَّاتِ، وتفريدِ الصِّفاتِ، واشتِمالِها على النُّعوتِ الثُّبوتيَّةِ والصِّفاتِ السَّلبيَّةِ، أفضَلُ من (سُورةِ اللَّهَبِ)؛ لِـمَا فيها من بيانِ ذَمِّ أبي لهَبٍ وامرأتِه حمَّالةِ الحَطَبِ.

وكذا (آيةُ الكُرسِيِّ) لاشتِمالها على بيانِ أسماءِ اللهِ الحُسنَى وصِفاتِه العُلى، أفضَلُ من (آيةِ المُدايَنَةِ) ونحوِها فيما يتعَلَّقُ بالمُعامَلة؛ فإنَّ شرفَ العلمِ بشرفِ

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٤٨٣) عن معاوية بن صالح قال: إنَّ بعضَ أهلِ العِلْمِ كانوا يَجْعَلون المُسَبِّحَاتِ سِتًّا، وذكرها.

(٢) رواه البخاري (٣٣٧١) من حديث ابن عباس رَضِي الله عَنهما، ورواه مسلم (٢٧٠٩) من حديث أبي هريرة رَضِي الله عَنه.

المَعلومِ، وشرفَ الذِّكرِ بشرفِ المَذكورِ والمفهومِ، كما تقرَّرَ في فضائلِ العلومِ، ومَراتبِ العُلماءِ ومَناقبِ الأولياء، فالكُلُّ وَرَثةُ الأنبياء، إلا أنَّ درجاتِهم مختلفةٌ كما لا يَخفَى على الأذكياء.

وممَّن غاصَ في بحرِ المُحيطِ القُرآنيِّ، وأبرَزَ منه الجواهِرَ والدُّرَرَ المنسوبةَ إلى الكلامِ الفُرقانيِّ، الإمامُ حُجَّةُ الإسلام، وبُرهانُ الإعلام، أبو حَامِدٍ الغزاليُّ، حيثُ جمَعَ اليواقيتَ واللآلي، ليُواظِبَ عليها المُريدُ لِـمقامِ المَزيدِ في الأيَّامِ واللَّيالي، ويتَرقَّى عن الحضيضِ الأدنَى إلى المَقامِ الأعلى، ويلتَقِطَ من البحرِ الأعظمِ الأكبَرِ الياقوتَ الأحمرَ، والدُّرَّ الأزهَرَ، والزَّبرجَدَ الأخضَرَ، والعَنْبَرَ الأنضَرَ، ويتَخَلَّصَ من شواغِلِ السَّواحِلِ، ورَواحِلِ الجَلاجِلِ، ويَستَغرِقَ في بحرِ الشُّهودِ، ويَفنَى في لُجَّةِ الوُجودِ، ويبقَى ببقاءِ الكرَمِ والجودِ، ويصِلَ بعدَ طيِّ مَقامات المُجاهدة، إلى حالاتِ المُشاهدة، كما أشارَ إلى هذا المقامِ حديثُه عليه السَّلامِ: «الإحسانُ أن تعبُدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ، فإن لم تكُنْ تراهُ فإنَّه يراكَ»[1].

فاترُكْ ما سِواه، وتوَكَّلْ على الله؛ فإنَّه مَن توَكَّلَ عليه كَفاه، وقد قالَ تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]، ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١١].

فعُمدَةُ الطَّريقِ المُوصِلِ إلى التَّحقيقِ: مُوافقَةُ ذكرِ الله، ومُخالفَةُ ما يَشغَلُكَ عن الله، وهذا هو السَّيرُ إلى الله، وفي الله، وبالله، ومعَ الله، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله.

ثمَّ اعلَمْ أنَّ اللهَ سُبحانَه أقرَبُ إلى المُريدِ من حَبْلِ الوَريدِ، ومن كمالِ نورِه اختَفى جمالُ ظُهورِه، أو لِضَعْفِ بصرِكَ ونُقصانِ نَظَرِكَ، أو ظُلمةِ قَلبِكَ عن مُشاهدةِ ربِّكَ، فعليكَ بالتَّخليَةِ والتَّحليَة؛ لتصيرَ مرآةُ قلبِكَ قابلةً للتَّجليَةِ.

---

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، من حديث أبي هريرة رَضِي الله عَنه.

فإنَّ مثالَ الطَّالبِ والمَطلوبِ في نظرِ أربابِ القُلوبِ كصورةٍ حاضِرة معَ مِرآةٍ حاصِرة، فمتَى صَقَلْتَها تجلَّتْ منه الصُّورةُ، بارتِحالِ الصُّورةِ إلى المِرآةِ بالضَّرورة، لا بارتِحالِ الصُّورةِ إلى المِرآة، ولا بحَرَكةِ المِرآةِ إلى الصُّورةِ من الهيئات، ولكِنْ بزَوالِ الحِجاب، وارتِفاعِ النِّقاب، يتجَلَّى ربُّ الأرباب.

ولكنْ هُنا مَزَلَّةُ الأقدامِ لسالِكي هذا المَقامِ، فإنَّه إذا ظَهَرَ فيك تَجلِّيه، ولم يثبُتْ قَدمُك فيه، بادَرْتَ إلى الوَسْواسِ الشَّيطانيِّ، وقلتَ: أنا الحقُّ وسُبحاني، وتدَرَّعَ اللَّاهوتُ بالنَّاسوت، وغَفَلتَ عن مَقامِ جمعِ الجمعِ الفارِقِ بينَ الرَّبِّ والطَّاغُوت، إلَّا أنْ يُثَبِّتَكَ اللهُ بالعلمِ القُرآنيِّ، والفَهمِ الفُرقانيِّ، فتَعرِفَ أنَّ الصُّورةَ ليست في المرآةِ بالضَّرورةِ، وإنَّما تجَلَّت لها وما حلَّتْ فيها، ولو حلَّتْ بالفَرْضِ والتَّقدير، لَمَا تُصُوِّرَ أن يتجلَّى واحدٌ في الجمعِ الكثير، في آنٍ واحدٍ وزمانٍ مُتَّحِدٍ، بل كانَ إذا حلَّت في مِرآةٍ وظَهَرت لها ارتحلَت عن غَيرِها، وهَيهاتَ هَيهاتَ عن هذه الوَقْعَة، فإنَّه يتَجلَّى لجُملةِ العارِفين دُفعَة، نعم يتجَلَّى في بعضِ المرائي أصحَّ، وأتَمَّ وأوضَحَ، وذلك بحسَبِ قابليَّةِ الـمَجَالي وصَقالةِ المَرائي، وصِحَّةِ استدارتِها، وشِدَّةِ استِقامتِها.

ولعلَّـه ﷺ قـالَ فـي هـذا المَقـامِ: «إنَّ اللهَ يتجَلَّـى للنَّـاسِ عامَّـةً، ولأبـي بكرٍ خاصَّـةً»[1]، فالحـذَرَ الحـذَرَ ممّـا يظهـرُ علـى خـلافِ ذلـك مـن الكَـدَرِ، ولا تغتَـرَّ بكلمـاتِ ابـنِ العَرَبـيِّ وأتباعِـه الغبـيِّ، من شُـرَّاحِ كلامِـه في كُفرَيَّـاتِ مَرامِـه، التي مـن جُملَتِهـا اعتقـادُ أنَّـه سُـبحانَه أوجَدَ الأشـياءَ وهـو عَيْنُهـا، وهذا عيـنُ الخطأ في نظَـرِ العُرَفـاءِ؛ فـإنَّ المُوجِـدَ قديـمٌ، والمُوجَـدَ حـادِثٌ، فكيـفَ يُتصَـوَّرُ أن يكـونَ المخلـوقُ عيـنَ الخالِـق، ويَسْـتوِيَا فـي مَراتـبِ الحقائق؟!

---

(١) رواه ابـن عـدي فـي «الكامـل» (٥/ ٢١٦) مـن حديـث جابـر رَضِـي الله عَنـه، وقـال: هـذا حديث باطـل. ورواه ابـن الجـوزي فـي «الموضوعـات» (١/ ٢٢٥ ٢٢٨) مـن روايـات وطرق شـتى، ثم قـال: هـذا الحديـث لا يصح مـن جميـع طرقه.

والغَريبُ أنَّهم أخَذوا العَينيَّةَ من آيةِ المَعيَّة، وقد ابتُلِيَ طائفةٌ من الإلحاديَّةِ والاتِّحاديَّةِ في هذه البليَّة، وقد أوضَحْتُ هذه القَضِيَّةَ في رسالتي المُسمَّاةِ بـ: «المَرتَبَةُ الشُّهودِيَّةُ في المَنزلةِ الوُجودِيَّةِ». واللهُ أعلَمُ[1].

***

(١) جاء في آخر النسخة الخطية «ف»: «من خط المؤلف نُقل».